# من تاريخ التشريع الاســـلامى

## المنزلة التشريعيـــة للســـنة

للدكتـــور
عـــلى احمـــد عـــلى مرعى
كليـــة الشريعـــة والقـــانون بالقـــاهرة

بســـم اللـــه الرحمـــن الرحيـــم

اكتفى فى هذه العجالة بالاشارة الى مبحث من مبـــاحث تاريخ التشريع الاسلامى هو « المنزلة التشريعية للسنة » .

وأتناول فى هذه الاشارة اهم ما يتصل بهذا المبحث فأشير الى معنى السنة وحجيتها ومنزلتها من القرآن الكريم ، ممهدا لهذا بكلمة عامة وقصيرة عن أصل التشريع الاسلامى .

وعلى هذا يقع هذا المبحث فى تمهيد وثلاثة مطالب على النحو التالى : ــ

١ ــ تمهيد فى أصل التشريع الاسلامى .

٢ ــ **المطلب الاول** : فى معنى السنة .

٣ ــ **المطلب الثانى** : فى حجية السنة .

٤ ــ **المطلب الثالث** : فى منزلة السنة من القرآن الكريم .

## التمهيـــــد

أتناول فى هذا التمهيد ، على طريق الاجمال والايجاز ، كلمـــة عامة عن أصل التشريع الاسلامى .

ولا شك أن أصل ذلك التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية .

**أما القـــرآن الكـــريم :**

فهو كلام الله تعالى المعجز أنزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقل الينا بين دفتى المصحف ، نقلا متواترا(١) .

والقرآن الكريم هو المصور الاول للتشريع ، وهو دستور الله الخالد ، ونوره المبين ، فيه نبأ من قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبـــل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلبس به الالسنة ، ولا تتشعب معـــه الآراء ولا تشبع منه العلمـــاء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا ( انا ســـمعنا(٢) قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ) من علم علمه سبق ، ومن قال به صـــدق ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

وقد تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السابقة ، بأن الله تعالى قد

---

(١) روضـــة النـــاظر ص٣٣ ، ٣٤ والابهـــاج جـ١ ص١١٩ وســـلم الثبوت حـ٢ ص٧ .

(٢) سورة الجن الآية ١ ، ٢ .

تفضل على عباده بحفظ هذا الذكر الحكيم ، قال تعالى : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(١) .

ومن يتدبر هذا النص الكريم يجد فصل الخطاب فى هذه الدعوى . أنظر الى تصدير الآية الكريمة بكلمة ( انا ) التى تدل على التوكيد ، ثم طالع اسمية الجملة ، وما تفيده من الثبوت والدوام ، ثم تدبر اقتران خبر ان باللام ، وما يفيده هذا من تقوية نسبة المحمول الى الموضوع ، ثم أنظر الى تقديم معمول الخبر وهو الجار والمجرور ، وما يؤخذ من هذا التقديم من العناية الالهية بالقرآن الكريم ، واختصاصه بأسمى خاصية ، وهى حفظ الله له منفردا عن غيره فى هذا من الكتب السماوية ، حيث وكل الله أمر حفظها الى من أنزلها عليهم ، فحرفوا وبدلوا ، وغيروا وصحفوا ، أما القرآن الكريم فالله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظه والمحافظة عليه ، وكفى بالله حافظا ومحافظا . ومن جملة حفظ الله تعالى للقرآن الكريم ، ومحافظته عليه ، أنه قيض له هما عالية ، تجردت للقرآن ، وتخصصت فى العمل بما يعود على العناية بالقرآن الكريم ، وافنت أيامها تستنير بنوره ، محاولة أن تستخرج من درره التى لا تنفذ .

فطائفة تبحث فى كيفية نزول القرآن وانزاله ، والحكمة من هذا ، وأسباب النزول . وأخرى عنيت بكتابة القرآن ، وجمعه فى الصحف والمصاحف ، وما يجب أن يراعى فى هذا من نظم الرسم والضبط . وثالثة تبحث فى فواصل القرآن الكريم وعد آياته وبيان ما يترتب على هذا . ورابعه تبين قواعد التجويد ، وباحث الترتيل . وخامسة تحرر القراءات وتدققها وتوجهها . وسادسة تفسر القرآن الكريم ، وتوضح دقائقه . وسابعة تهتم بنصص القرآن ، وما اشتمل عليه . وثامنة تتناول من وجوه الاعجاز التى تضمنها القرآن الكريم ، ما أمكن أن تدركه عقولهم . وتاسعة تبحث فى المحكم والمتشابه من القرآن الكريم . وعاشرة تتصدى لاعراب القرآن الكريم . وهكذا

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ ، وانظر تفسير الآية الكريمة فى البيضاوى وابى السعود .

وهكذا ، طوائف أكثر من أن أصل الى عدها وحصرها ، ولا شك أن فى هذا حفظا للقرآن الكريم ومحافظة عليه .

ومن المعروف الثابت أن القرآن الكريم فرض الله تعالى علينا به وشرفنا بانزاله على ثلاثة(١) تنزيلات :

**الاول :** تنزل القرآن الكريم الى اللوح المحفوظ . ومما يدل على هذا قوله تعالى « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ »(٢) وقد كان هذا التنزل جملة واحدة ، بطريقة ووقت لا يعلمها الا الله تعالى .

**الثانى :** تنزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى سماء الدنيا ويشير الى هذا قوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »(٣) وقوله تعالى « انا أنزلناه فى ليلة مباركة »(٤) وقوله تعالى « انا نزلناه فى ليلة القدر » (٥) وكان هذا النزل جملة واحدة . يشير الى هذا قول ابن عباس(٦) رضى الله تعالى عنهما « أنزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة » ثم قرأ « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا »(٧) « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٨) .

**الثالث :** انزال القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام . وقد كان ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانا بالسورة بأكملها كالفاتحة والعصر والنصر وغيرها . وتارة كان ينزل عليه بعشر آيات كأول سورة المؤمنون . وقد ينزل عليه بأية أو بعض

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى ١/٢٤٠ وما بعدها .
(٢) سورة البروج الآية ٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥ .
(٤) سورة الدخان الآية ٣ .
(٥) سورة القدر الآية ١ ، وأنظر فتح البارى ٣/١٩ وما بعدها ، والبرهان ١/٢٢٩ وما بعدها .
(٦) المرجع السابق .
(٧) سورة الفرقان الآية ٣٣ .
(٨) سورة الاسراء الآية ١٠٦ .

آية **وقد توهم البعض** أو خيل اليهم أن هناك تعارضا بين ظواهر الآيات التى وردت فى انزال القرآن الكريم . ووجه هذا التعارض أن بعض هذه الآيات يدل على أن القرآن الكريم قد أنزل جملة واحدة . كقوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »(١) وقوله تعالى « انا أنزلناه فى ليلة مباركة »(٢) وقوله تعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر »(٣)

ووجه دلالة هذه الآيات على أن القرآن الكريم أنزل جملة واحدة أن لفظ القرآن حقيقة فى الكل والحمل على الحقيقة متعين متى كان ممكنا ولم يوجد صارف . وظاهر الآيات الثلاث أن الانزال وقع على كل القرآن على معنى أن القرآن كله قد أنزل جملة واحدة فى شهر رمضان أو فى ليلة القدر أو فى ليلة مباركة .

وبعض الآيات تدل على أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة وانما أنزل مفرقا ومنجما على مرات كثيرة . يدل على هذا ظاهر قوله تعالى « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٤) وظاهر قوله تعالى « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤداك ورتلناه ترتيلا »(٥) .

وبين نزول القرآن الكريم جملة واحدة وبين نزوله مفرقا تعارض وبعض الآيات قد نصت على أن القرآن الكريم قد أنزل فى ليلة معينة وبعضها نصت على أنه أنزل فى ليلة غير معينة وبعضها لم يعرض لليلة معينة أو غير معينة وانما عرض للشهر وبعضها لم يعرض لزمان النزول من ليلة أو شهر . وفى هذا تعارض لا يخفى .

وعند التحقيق لا تعارض بين(٦) الآيات التى وردت فى انزال القرآن الكريم وهذا ظاهر دون أدنى عناء أو خفاء .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .
(٢) سورة الدخان الآية ٣ .
(٣) سورة القدر الآية ١ .
(٤) سورة الاسراء الآية ١٠٦ .
(٥) سورة الفرقان الآية ٣٢ .
(٦) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٢٨/١ وما بعدها .

فالآيات التى يفيد ظاهرها أن القرآن الكريم قد أنزل جملة واحدة مراد منها النزول الاول أو الثانى على ما يناسب المقـــام وفى كل واحد منهما انزل القرآن جملة واحدة على ما تقدم .

والآيات التى يفيد ظاهرها أن القرآن الكريم قد أنزل منجما ولم ينزل جملة واحدة مراد منها . النزول الثالث .

والليلة التى أشارت فى بعض الآيات الى أن القـــرآن قد أنزل فيها هى ليلة القدر وهى من غير شك ليلة مباركة ومعلوم أنها من ليالى شهر رمضان وعلى هذا فلا تعارض بين الآيات التى تفيد أن القرآن الكريم أنزل فى ليلة معينة والآيات التى تفيد أنه أنزل فى ليلة مباركة من غير تعيين لهذه الليلة . والآيات التى تفيد أنه أنزل فى شهر رمضان . ولا تعارض كذلك بين الآيات التى التى ورد فيها ذكر زمن النزول وبين الآيات التى عريت عن ذلك . اذ من المعلوم أن المطلق يحمل على المقيد عن العلماء . من تكلف لدفع توهم هذا التعـــارض ومن هؤلاء من قال أن القرآن الكريم أنزل الى السماء الدنيا فى ثلاث وعشرين ليلة قدر أو عشرين أو خمس وعشرين على خلاف فى هذا ، مبنى على الخلاف فى المدة التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة بعد البعثة وقبـــل الهجرة . ينزل فى كل ليلة قدر منها ما يقدر الله انزاله فى كل السنة ثم ينزل بعد ذلك منجما . فى جميع السنة على النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من رأى أنه ابتدىء انزاله فى ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك منجما فى أوقات مختلفة .

ومنهم من رأى أن القرآن الكريم أنزل الى اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل فى ثلاث وعشرين ليلة قدر أو عشرين أو خمس وعشرين . وأن جبريل نجمـــه على النبى صلى الله عليـــه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة أو عشرين أو خمس وعشرين .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يحفظ ما يتلقاه عن جبريل ، ويبلغـــه أصحابه رضى الله عنهم . اللذين كانوا يحفظونه ويعونه ويعملون بما فيه . وكان الصحابة يتلقونه أيضا بعضهم عن بعض ، ثم تلقاه التابعون مشافهة عن الصحابة ، وهكذا الى وقتنا الحـــاضر ، والى أن يرث الله الارض ومن

عليها ، تتلقى القرآن الكريم جماعة يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب ، وهذه الجماعة عن مثلها الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

والى جانب هذا ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر كتبة(١) الوحى بكتابة ما ينزل من القرآن الكريم ، أولا بأول . ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى الا والقرآن كله محفوظ فى الصدور ومكتوب فيما تيسرت الكتابة فيه من الرقاع(٢) والعسب والاكتاف واللخاف والاقتاب ونحوها . فكتب القرآن الكريم كله بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وان كان مفرقا على معنى أن المكتوب لم يجمع فى شىء واحد .

ثم جمع القرآن الكريم فى صحف فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه(٣) . بعد أن وقعت موقعة اليمامة فى السنة الثانية عشرة من الهجرة ، وقد استحر القتل فى الصحابة وبخاصة حفظة القرآن الكريم ، ومات منهم كثيرون ، فخشى عمر رضى الله عنه ضياع شىء من القرآن ، فأشار على أبى بكر أن يجمع القرآن فى شىء واحد ، فتردد أبو بكر أول الامر . فلم يزل به عمر حتى وافق . فأرسل الى زيد بن ثابت رضى الله عنه ، وندبه للقيام بهذا العمل . روى(٤) البخارى بسنده الى زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر ان عمر بن الخطاب اتانى فقال : ان القتل استحر بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن يجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى ، حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن

---

(١) سمير الطالبين للمرحوم الشيخ الضباع ص٩ وما بعدها .

(٢) الرقاع جمع رقعة أى الجلود ، والعسب جمع عسيب وهو الاصل العريض من جريد النخل اذا نحى عنه خوصه واللخاف جمع لخفة وهى الحجارة البيض الرقاق التى تشبه الالواح ، والاكتاف وهى عظام عريضة .

(٣) البرهان للزركشى ١/٢٣٣ وما بعداه .

(٤) الحديث رقم ٤٩٨٦ باب جمع القرآن .

فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل على مما أمرونى به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالا هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى الذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال .

وكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر فى حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عن الجميع .

ثم جمع القرآن الكريم فى مصاحف فى خلافة عثمان(١) رضى الله عنه وفى عهده تفرق الصحابة فى البلدان بعد أن كانوا متجمعين(٢) فى المدينة فى عهد أبى بكر وعمر وحمل كل من الصحابة من القراءات ما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس(٣) عند غيره فاختلف الناس فى القراءات . وصار كل قارىء ينتصر لقراءته بل وقد يخطىء قراءة غيره فأفزع ذلك عثمان رضى الله عنه ، وخشى عواقب هذا الاختلاف السيئة فى التقليل من الثقة بالقرآن الكريم وقراءاته الثابتة . وفى يوم(٤) جاء حذيفة بن اليمان وأخبر عثمان بما وقع بين أهل الشام والعراق من الاختلاف فى القراءة فى غزوة أرمينية فيها له الامر وتشاور هو والصحابة فرأوا أن يجمع للناس على مصحف واحد لا يتأتى فيه اختلاف فأرسل الى حفصة رضى الله عنها أن أرسلى الينا بالصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر لتكون أساسا فى هذا العمل . ثم عهد عثمان الى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف فى مصاحف

---

(١) البرهان ١/٢٣٥ وما بعدها ومناهل العرفان ١/٢٤٠ وما بعدها .
(٢) محاضرات فى تاريخ التشريع للمرحوم الشيخ حسن الكاشف .
(٣) واختلاف القراءات راجع الى انزال لقرآن الكريم على سبعة أحرف . والقراءات الصحيحة التى أجمع العلماء على تواترها قراءة الائمة العشرة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر ويعقوب وخلف راجع اتحاف فضلاء البشر للبنا ص٧ وما بعدها والطيبة لابن الجزرى مع شرحها لابنه ص٥ وما بعداه .
(٤) سمير الطالبين ص١٣ وما بعدها وفتح البارى جـ١٩ص ١٩ وما بعدها

فقاموا بهذا خير قيام فلما انتهوا أرسل عثمان الى كل مصر من الامصار المشهورة بمصحف ومعه صحابى ليجتمع الناس على القراءة ولا يحدث اختلاف . وأمر بما سواها أن يحرق ثم رد الصحف الى حفصة روى(١) البخارى بسنده الى أنس رضى الله عنه قال : ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف فننسخها ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيدابن ثابتوعبد الله بن الزبير وسعيدابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد فى شىء من القرآن — أى فى كتابته — فأكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم .

وقد قام الصحابةا لاربعة الذين وقع عليهم الاختيار للقيام بهذا العمل الجليل . قاموا ينسخ أكثر من مصحف على خلاف بين العلماء(٤) فى عدد المصاحف التى نسخوها . فقيل : خمسة ، وقيل : ستة ، وقيل : سبعة ، وقيل : ثمانية . وأيا ما كان عدد هذه المصاحف فان العلماء قد اتفقوا على أمور من أهمها ما يلى :

أولا : أنه قد تم كتابة أكثر من مصحف ، وأن عثمان رضى الله عنه قد أرسل الى كل مصر من الامصار الاسلامية المشهورة مصحفا .

**ثانيا** : أن عثمان رضى الله عنه قد أرسل مع كل مصحف من المصاحف التى أرسلها الى الامصار صحابيا يقرىء المسلمين بما فى المصحف الذى أرسل الى أهل هذا المصر . وعلى سبيل المثال :

أمر زيد بن ثابت رضى الله عنه أنيقرىء أهل المدينة بما فى مصحف

---

(١) الحديث ٤٩٨٧ باب جمع القرآن .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن ٥١/١ وما بعدها وفتح البارى ٢٣/١٩ وما بعدها .
(٣) الارجع السابق وسمير الطالبين ١٣ وما بعدها .

المدينة وأرسل عبد الله بن السائب مع المصحف المكى ليقرىء أهل مكة بما فى المصحف المكى ، وأرسل المغيرة بن شهاب المخزومى مع المصحف الشامى ليقرىء الشاميين بما فى المصحف الشامى . وأرسل أبا عبد الرحمن السلمى مع المصحف الكوفى ليقرىء أهل الكوفة بما فى المصحف الكوفى وأرسل عامرا بن قيس مع المصحف البصرى ليقرىء الناس بما فى المصحف البصرى .

**ثالثا** : قد تلقى المسلمون هذه المصاحف بالقبول وأجمعوا على ما فيها .

**رابعا** : أن القرآن الكريم قد كتب فى المصاحف العثمانية على الترتيب الوارد فى اللوح المحفوظ بتوقيف جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم على ذلك واعلامه عند نزول كل آية بموضعها .

**خامسا** : أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على القراءات الصحيحة المتواترة التى أنزل عليها القرآن الكريم .

**سادسا** : أن هذه المصاحف قد تضمنت الاحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن الكريم . ومما ساعد على ذلك الطريقة التى كتبت بها هذه المصاحف ، فقد كانت مجردة من النقط والشكل ، متفاوتة فى الحذف والاثبات والفصل والوصل .

وحاصل هذا بايجاز . أن اللفظ القرآنى الذى لا تختلف فيه أوجه القراءات كان يرسم فى المصاحف العثمانية بصورة واحدة . ومعظم القرآن الكريم من هذا القبيل . واذا ختلفت أوجه القراءات فى اللفظ القرآنى ، وكان رسمه بصورة واحدة يحتمل أوجه القراءات التى فيه ، رسم فى المصاحف العثمانية بصورة واحدة أيضا . مثل قوله تعالى « يا أيها(١) الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .

ومعلوم أن فى قوله تعالى « فتبينوا » قراءتين(٢) متواترين :

احداهما : فتبينوا من البيان وبها قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب .

---

(١) سورة الحجرات الآية

(٢) طيبة النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى مع شرحها لابن الناظم ٢٦٧ .

والثانية : فتثبتوا من التثبت وبها قرأ حمزة والكسائى وخلف ، والرسم العثمانى يحتمل كل واحدةً من القراءتين اذ من المعلوم أن هذه المصاحف كانت خالية عن النقط والشكل تحقيقا لقصد الصحابة رضى الله عنهم اشتمال المصاحف على الاحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن الكريم ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد أنزل على سبعة أحرف ، أخرج البخارى(١) بسنده الا أن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرانى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف،وأخرج البخارى(٢)بسنده الى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارئى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساورة — اى أو اثبه أو آخذ برأسه — فى الصلاة فتبصرت حتى سلم فلببته — أى جمعت عليه ثيابه عند لبته لئلا يتفلت منى — بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : انى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارسله : اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التى أقرانى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » وان اختلفت أوجه القراءات فى اللفظ القرآنى بحيث لا يمكن احتمال الرسم بصورة واحدة أوجه القراءات التى فى اللفظ القرآنى رسم هذا اللفظ بصورة توافق بعض أوجه القراءات فى بعض الاصاحف ، ورسم بصورة أخرى توافق الاوجه الاخرى فى بعض آخر من المصاحف مثل قوله تعالى : « وسارعوا(٣) الى مغفرة من ربكم »

---

(١) الحديث ٤٩٩١ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .
(٢) الحديث ٤٩٩٢ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .
(٣) سورة آل عمران الآية

ومعلوم أن فى هذا(١) قراءتين متواترتين ، احداهما وسارعوا باثبات واو قبل السين وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف والثانية سارعوا بحذف الواو قبل السين وبها قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ، وقد رسم بحذف الواو فى المصحف المدنى والمصحف الشامى ، ورسم باثبات الواو فى باقى المصاحف العثمانية .

**سابعا** : لم يكن المعول عليه فى تلقى القرآن الكريم على المكتوب فى المصاحف وانما المعول عليه فى هذا هو الاخذ بالرواية والمشافهة جماعة يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب ، وهذه الجماعة عن مثلها الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم بقراءاته متواتر فى حفظه متواتر فى كتابته ، وهو فى هذا بقراءاته المتواترة قطعى الثبوت معلوم من الدين بالضرورة ، لا ينكر مثله الا كافر معاند مكابر أعاذنا الله من مثل هذا .

وقبل أن اختم هذا لتمهيد أحب ومن واجبى وواجب كل مسلم أن ينبه الى أن العناية بالقرآن الكريم قد قلت لدرجة تبعث على الخوف .

وانى لارجو والح فى الرجاء على المسئولين وبخاصة فى الازهر ووزارة الاوقاف والتربية والتعليم العالى والشئون الاجتماعية أن يكثفوا الجهود مخلصين فى العناية بالقرآن الكريم .

ولعل مما يساعد على هذ فى نظرى :

**أولا** : العمل على احياء نظام الكتاتيب على أن يوضع لها ترتيب دقيق يكفل لها القيام بالمرجو منها وتتولى هذا ادارة المعاهد الازهرية .

**ثانيا** : تخصيص بعض المزايا لمن يحفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا ومن هذا على سبيل المثال :

١ — يضاف لمن يحصل على شهادة الاعدادية والثانوية العامة وما فى

---

(١) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربع عشر ١٧٩ .

مستواهما عشرة فى المائة من مجموع الدرجات اذا كان حافظا للقرآن الكريم كله حفظا جيدا .

٢ ــ تحتسب أقدمية قدراه أربع سنوات لكل موظف فى الحكومة والقطاع العام اذا كان حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا .

٣ ــ يعفى من تأدية الخدمة العسكرية أو يعتبر فى فى حكم المستبقى كل من كان حافظا للقرآن الكريم كله حفظا جيدا .

٤ ــ عند التساوى يفضل فى أحوال الاعارة للعمل بالخارج أو السفر للدراسة أو لمهمة علمية من كان حافظا للقرآن الكريم كله حفظا جيدا .

٥ ــ تجرى مسابقات دورية لحفظ القرآن الكريم ويحصل على مكافأة لا تقل عن مائة جنيه مصرى كل من كان حافظا للقرآن الكريم كله ومثلها لمن قام بالتحفيظ .

**ثالثا :** لا يقبل فى دور العلم التالية الا من كان حافظا للقرآن الكريم كله حفظا جيدا :

١ ــ المعاهد الازهرية على مختلف أنواعها .

٢ ــ كليات أصول الدين والدعوة والشريعة والقانون واللغة العربية والدراسات الاسلامية وأقسام اللغة العربية والدراسات الاسلامية بكلية التربية بجامعة الازهر .

٣ ــ كلية دار العلوم بجميع أقسامها وكليات الخدمة الاجتماعية وكليات الحقوق وأقسام اللغة العربية والدراسات الاسلامية بكليات الآداب والتربية فى كل جامعات جمهورية مصر لعربية وفروعها .

**رابعا :** لا يعين ولا يرقى للوظائف التالية الا من كان حافظا للقرآن الكريم كله حفظا جيدا : ــ

١ ــ مدرس علوم شرعية وعربية بالمعاهد الازهرية وكذا مدرس أول فأعلى .

٢ — امام وخطيب وكذا مفتش فى وزارة الاوقاف فأعلى .

٣ — مدرس لغة عربية ودين بوزارة التربية والتعليم وكذا مدرس أول فأعلى .

٤ — معيد ومدرس ومساعد وعضو هيئة تدريس فى الكليات المشار اليها فى رقم ( ٢ ) ورقم ( ٣ ) من « ثالثا » .

**خامسا :** تقوم جامعات الجمهورية ومساجدها بانشاء حلقات لتحفيظ القرآن الكريم على أن يوضع لهذا من اللوائح والنظم ما يكفل له القيام بالمرجو منه تحت اشراف الازهر ووزارة الاوقاف .

أسأل الله تعالى أن يشرح لهذا الصدور .

وبعد هذه الايجازة اليسيرة عن القرآن الكريم انتقل الى الاشارة الى بعض المطالب المتعلقة بموضوع البحث ـ

## المطلب الاول : معنى السنة

أتناول فى هذا المطلب معنى السنة ثم أبين الفرق بينها وبين ما يشبهها أو قد يشبهها .

وعلى هذا يقع الكلام عن هذا المطلب فى فرعين : ـ

الفرع الاول : معنى السنة .

الفرع الثانى : الفرق بين السنة وبين ما يشبهها .

### الفرع الاول : معنى السنة

تطلق السنة فى اللغة على الطريقة المتبعة ومن هذا قوله تعالى « سنة من قد أرسلنا قبلك من(١) رسلنا » وقوله تعالى « وأن(٢) يعودوا فقد مضت

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٧ .
(٢) سورة الانفال الآية ٣٨

سنة الاولين » وقوله صلى الله عليه وسلم « عليكم(١) بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجز « وقوله صلى اللل عليه وسلم « فمن رغب(٢) عن سنتى فليس منى » .

وتطلق السنة فى اللغة على الطريقة المعتادة حسنة كانت أو سيئة ؛ ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « ومن(٣) سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعـــده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

## السنة فى اصطلاح المحدثين :

أكثر(٤) علماء الحديث على أن السنة : ما نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعـــل أو تقـــرير أو صفة . فلفظ « ما » كالجنس فى التعريف يشمل السنة ويشمل غيرها ولفظ « نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم » أى أضيف اليه عليه الصلاة والسلام على جهة وقوعه منه أو قيامه به وهو قيد خرج به ما نسب الى غير النبى صلى الله عليـــه وسلم . ولفظ « من قول » بيان لما نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قيد دخل به كل أقول النبى صلى الله عليه وسلم مثل(٥) « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ... الحديث . ولفظ « أو فعل » دخل به أفعال النبى صلى الله عليه وسلم أو بعبارة أدق حكاية فعله عليه الصلاة والسلام كقول(٦) عائشة رضى الله عنها حكاية لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم « كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة » ولفظ « أو تقرير » المراد بالتقرير(٧) ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور صدرت من غيره بسكوت منـــه ، أو

---

(١) سنن أبى داود ٢٨١/٤ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٩/٤ .
(٣) صحيح مسلم ٦١/٨ رياض الصالحين ٩٧ .
(٤) علوم الحديث لابن الصلاح ٣٩ وما بعدها وقواعد التحـــديث ٣٢ وما بعدها .
(٥) فتح البارى ٣/١ والنووى على مسلم ٤٨/٦ .
(٦) فتح البارى ٥٢/٢ ورياض الصالحين ٤٣١ .
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩/١٨ وما بعدها .

عدم انكاره لأمر رآه أو بلغه عمن يكون منقادا للشرع مثل اقراره(١) صلى الله عليه وسلم لاجتهاد الصحابة رضى الله عنهم فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة حين قال لهم « لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة » .

ولفظ « أو وصف » المراد به ما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم كقول أنس فى وصف النبى عليه الصلاة والسلام(٢) « كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق — أى أبيض خالص البياض لا تخالطه حمرة ولا صفرة — ولا آدم ، ليس بجعد قطط — أى شديد الجعودة — ولا سبط رجل — أى شديد السبوطة بمعنى الاسترسال .

## السنة فى اصطلاح الفقهاء :

وردت السنة فى اصطلاح الفقهاء بمعنى الامر الثابت عن الرسول صلى صلى الله عليه وسلم من غير وجوب ، وهى بهذا الاعتبار نوع من أنواع الحكم التكليفى ووردت فى مقابل البدعة فيراد بها الامر المشروع مطلقا سواء دل على مشروعيته قول من الله تعالى أو قول من الرسول صلى الله عليه وسلم أو غير هذا من الادلة الشرعية المعتد بها فى اثبات الاحكام أو اظهارها . والشواهد على هذا من عبارات الفقهاء كثيرة ومنها على سبيل المثال : قول صاحب الكنز فى الوصف الشرعى للنكاح « وهو(٣) سنة وعند لتوقان واجب » وقول الشلبى فى الطلاق(٤) « واعلم أن الطلاق فى الاصل على نوعين : طلاق سنة وطلاق بدعة ... الخ » وقول ابن رشد(٥) فى الوصف الشرعى لمسح الاذنين فى الوضوء « اختلفوا فى مسح الاذنين هل هو سنة أو فريضة ... الخ » وقول الشيرازى(٦) فى سن الوضوء «وسنته اثنتا عشرة : التسمية ... الخ»

---

(١) فتح البارى ٥/٩٣ والنووى على مسلم ٥/١٦٢ وسيرة ابن هشام ١/١٦٦ .
(٢) فتح البارى ٤/١٥٠ والنووى على مسلم ٧/٨٧ .
(٣) الكنز بشرح الزيلعى ٢/٩٥ .
(٤) حاشية الشلبى على شرح الكنز ٢/١٨٨ وما بعدها .
(٥) بداية المجتهد ١/١٤ وما بعدها .
(٦) المهذب ١/١٩ .

وقال(١) ان قدامة فى الوصف الشرعى للتسمية عند الوضوء « ظاهر مذهب أحمد رضى الله عنه أن التسمية مسنونة الى أن قال : وعنه انها واجبة » .

ومن هذه النقول عن الفقهاء يتبين أن السنة تطلق فى عباراتهم على ما واظب(٢) عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو فعله من غير افتراض ولا وجوب .

## السنة فى اصطلاح الاصوليين :

منهم من وسع دائرتها بحيث تشمل قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وأقوال الصحابة رضى الله عنهم . وفى هذا يقول البخارى(٣) فى شرحه لاصول البزدوى « لفظ السنة شامل لقول الرسول وفعله ومنطلق على طريقة الرسول والصحابة » ومن الاصوليين من ضيق دائرة السنة بعض الشىء كالشيخ محب الله بن عبد الشكور حيث(٤) يقول : « هى هنا ما صدر عن الرسول غير القرآن من قول وفعل وتقرير » .

ومنهم من ضيق الدائرة عما سبق فى بعض المواضع كالبزدوى حيث أطلقها على القول فقط عندما قال(٥) :« أعلم أن سنة النبى عليه الصلاة واسلام جامعة ملامر والنهى والخاص والعام وسائر الاقسام التى سبق ذكرها وكانت السنة فرعا للكتاب فى بيان تلك الاقسام بأحكامها » .

## الفرع الثانى : الفرق بين السنة وبين ما يشبهها

أهم مايشبه السنة الحديث والخبر والاثر وأشير فيما يلى الى العلاقة بين السنة وبين كل واحد من هذه الثلاثة .

---

(١) المغنى ١/٧٦ وما بعدها .
(٢) أصول مذهب الامام أحمد ١٩٩ وملحق الكوكب المنير — ٢١
(٣) كشف الاسرار ٢/٣٥٩ .
(٤) مسلم الثبوت ٢/٩٧ .
(٥) أصول البزدوى ٢/٣٥٩ .

## الفـــرق بين الســـنة وبين الحديث :

يطلق الحديث فى اللغة على الجديد ، ونقيض القديم . والمـــادة (ح د ث) تدور حول معنى واحد ، وهو كون الشيء بعـــد أن لم يكن(١) . والحديث كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء بعد أن لم يكن.وسميت الكلمات والعبارات حديثا لان الكلمات تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية ، وكل واحد من هذه الحروف يحدث عقب صاحبه . أو لان سماعها يحدث فى القلوب من المعانى والعلوم الشيء الكثير قال تعالى(٢) « فليأتوا بحديث مثله أن كانوا صادقين»

وبجمـــع حديث على أحاديث على خلاف القياس ، ويرى الفراء أن واحد أحاديث أحدوثة(٣) وقال ابن برى : ليس الامر كمـــا زعم الفـــراء ؛ لان الاحدوثة بمعنى الاعجوبة ، أما أحاديث النبى ﷺ فلا يكون واحدها الا حديثا . ويرى الزمخشرى(٤) أن الاحاديث اسم جمع . وخالفه أبو حيـــان فقال(٥) « ليس الاحاديث باسم جمع . بل هو جمع تكســـير للحديث على غير القياس كأساطيل ، واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن » .

## الحديث فى اصطلاح علمـــاء الحديث

الحديث عند هؤلاء معناه مرادف لمعنى السنة عند الكثيرين منهم ومما يؤيد هذا انه قد صح عن النبى ﷺ أحاديث تدل أن هذا المعنى الاصطلاحى قد استعمل من قبل النبى ﷺ ومن هذه الاحاديث قوله عليه الصلاة والسلام ( تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى )(٦) .

ومن العلماء من يفرق بين الحديث وبين السنة فيطلق الحديث على ما ينقل من قول النبى ﷺ وفعله وتقريره وصفاته ويطلق كلمة السنةعلى الواقع العلمى فى تطبيقات الشريعة منذ عصر الرسول ﷺ الى آخر عصر الصحابة فيقولون مثلا نقل فى الحديث كذا والسنة على خلافه أى أن العمل

---

(١) مقاييس اللغة مادة ( حدث )
(٢) سورة الطور الايـــة ٢٤ .
(٣) تاج العروس مادة ( حدث ) .
(٤) الكشاف ٢/٢٤٣ .
(٥) البحر المحيط ٥/٢٨١ .
(٦) مشـــكاة المصابيح ١/٦٦ .

المأثور فى عهد الرسول ﷺ والصحابة كان جاريا على خلاف ما جاء فى الحديث . ومما يدل على هذا التمييز بين الكلمتين ما روى عن عبد الرحمن بن مهدى وقد سئل عن رأيه فى الامام مالك والاوزاعى وسفيان بن عيينة وأيهم أعلم فقال « الاوزاعى امام فى السنة وليس بامام فى الحديث وسفيان امام فى الحديث وليس بامام فى السنة ومالك امام فيهما » (٢) .

ومن العلماء من يفرق بين الحديث وبين السنة بأن الموقوف لا يسمى سنة ولكنه يسمى حديثا والمرفوع يسمى سنة وحديثا (٣) .

ويرى البعض أن السنة تبعا لمعناها اللغوى تطلق على الطريقة الدينية التى سلكها النبى ﷺ فى سيرته المطهرة وعلى هذا فالسنة خاصة بأفعال النبى ﷺ والحديث عام يشمل الفعل والقول فكل حديث سنة ولا عكس (٤) .

**الفرق بين السنة وبين الخبر :**

الخبر اسم الاخبار سواء كان صادرا عن النبى ﷺ أو غيره ويطلق الخبر فى اللغة على النبأ والظاهر أنهما مترادفان وقد فرق البعض بينهما بأن النبأ خبر مفيد بكونه عن أمر عظيم (٥) .

وقال الخطيب البغدادى « الخبر ما يصح أن يدخله الصدق أو الكذب » (١) أى لذ انه برد النظر عن القائل أو الواقع وجمعه أخبار (٢) .

والخبر فى الاصطلاح مرادف للحديث عند الجمهور . ورأى البعض خلاف هذا فقال ان الخبر يطلق على ما أسند الى الرسول ﷺ وما أسند الى غيره والحديث خاص بما أسند الى الرسول ﷺ وعلى هذا فكل حديث خبر ولا عكس (٣) .

---

(٢) ترتيب المدارك ٣٢/١ والزرقانى على الموطىء ٤/١ .
(٣) الرسالة المستطرفة ٣٢ .
(٤) علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص ٧ وتوجيه النظر ص ٣ .
(٥) معجم مقاييس اللغة ٢٣٩/٢ .
(١) الكفاية ص ٥٠ .
(٢) تاج العروس مادة خبر .
(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٤٢ وقواعد التحديث ص ٣٥ .

والعلاقة بين الخبر وبين السنة كالعلاقة بين الخبـــر وبين الحديث فهما مترادفان عند الجمهور .

**الفرق بين الاثـــر وبين السنة :**

الاثر يطلق فى اللغة على البقية من الشىء يقال أثر الدار لما بقى منها ويطلق لفظ الاثر أيضا فى اللغة على ما يؤثره الرجل يقدمه ويطلق أيضا على الخبر وجمعه آثار (٤) .

والاثر مرادف للخبر والحديث والسنة عنـــد الاكثرين ومن العلمـــاء من يخص الخبر والسنة بما أضيف الى النبى عليه الصلاة والســـلام والاثر بما أضيف الى السلف من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم(٥) .

---

(٤) تاج العروس مادة اثر .

(٥) قواعد التحديث ص ٣٦ .

## المطلب الثـــانى
## حجيـــة الســـنة

أتناول بايجـــاز فى هذا المطلب حجيـــة السنة ثم كلمة عن منكـــرى السنة وأخرى عن المستشرقين والاسلام وعلى هذا يقـــع الكلام عن هذا المطلب فى ثلاثة أفرع على النحو التالى :

**الفرع الاول :** حجية السنة .

**الفرع الثانى :** وقفة مع منكرى السنة .

**الفرع الثالث :** وقفة مع المستشرقين .

### حجيـــة الســـنة :

سبق أن بينا بما لا يدع مقالا لمنكر : أن القرآن الكريم كلام الله المعجز أنزله الله تأييدا لنبيه فى دعواه الرسالة . ونقل الينا نقلا متواترا . وما هذا شأنه يجب الايمان بكل ما حواه . والانقياد لكل ما جاء به . والتسليم لحكمه من البشر أجمعين . ونقتصر من هذا على ما يختص ببحثنا وهو أمران :

**الاول :** وجوب الايمان بمحمد ﷺ . خاتم الانبياء والمرسلين . ختم الله به الرسل . وأرسله للناس كافة . وختم بشريعته الشرائع . ونسخ بهـــا شرائع من قبله فالله سبحانه تفضلا منه واحسانا . تعهـــد هذه البشرية من لدن آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام . وتولاها بالاصـــلاح والتعليم . على يد من اختارهم من خلقه للتبليغ عنه . وكلما تدرجت البشرية من طور الى طور أنزل الله لها ما يناسبها فى طورها الذى تعيشه . ويتلاءم مع حياتها فى هذه المرحلة . حتى اذا أدت الرسالة وظيفتها . وانتقلت البشرية الى مرحلة أخرى من حياتها . واحتاجت للمزيد من الكمال أتى لها بشريعة أخرى تناسبها وتهيؤها لتحمل رسالة أكمـــل . حتى اذا بلغت البشرية أشـــدها . واستوى عودها . واستعدت لتحمـــل الرسالة الخـــالدة . أنعم عليهـــا بمحمد ﷺ وجعله خاتم النبين . « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللـــه وخاتم النبيين (١) » وجعل رسالته عامة للناس أجمعين : « وما أرســـالناك

---

(١) الاية ٤٠ من سورة الاحزاب .

الا كافة للناس .. » (٢) وأنزل عليه الشريعة الخالدة ما بقيت هذه الحياة . وطلب من الناس جميعا الايمان به . واقرءوا معى قول الله تعالى : « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (١) .

ويقول سبحانه : انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون .

الى غير ذلك من الايات التى تلزم الناس جميعا الايمان بمحمد ﷺ .

**الثانى :** أن الله سبحانه فرض على عبادة العمل بكتابه وسنة نبيه ، وذلك فى كثير من آيات القرآن الكريم . نذكر منها مجموعات ثلاث .

**الاولى :** آيات امتن الله على عباده بتعليمهم على يد رسوله ﷺ الكتاب والحكمة . والامتنان بالتعليم لا يقع موقعه الا اذا أتى ذلك التعليم الثمار المطلوبه . وهى العمل . فالعمل بالكتاب واجب . والعمل بالسنة واجب . لانه لا يراد بالحكمة التى عطفت على الكتاب الا سنة رسول الله ﷺ .

وهذا هو الفهم الذى فهمه الشافعى وغيره من هذه الايات فانه بعد أن أورد بعضها علق عليها بقوله : « فذكر الله الكتاب وهو القرآن . وذكر الحكمة . فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة

---

(٢) الاية ٢٨ من سورة سبأ .

(١) الايات ١٥٦ — ١٥٨ من سورة الاعراف ومعنى اصرهم : عهدهم بالقيام بأعمال ثقال . ومعنى الاغلال : التكاليف الشاقة . ومعنى عزروه : وقروه وعظموه .

رسول الله وهذا يشبه ما قال والله أعلم . لان القرآن ذكر وأتبعته الحكمة . منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة . فلم يجز — والله أعلم — أن يقال : الحكمة الا سنة رسول الله ﷺ .

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله . وأن الله افترض طاعة رسوله . وحتم على الناس اتباع آمره . فلا يجوز أن يقال لقول : فرض الا لكتاب الله ثم سنة رسوله . لما وصفنا من أن الله جعل الايمان برسوله مقرونا بالايمان به » (١) .

**ومن هذه الايات :**

قول الله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (٢) .

وقوله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٣) .

وقوله تعالى : لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » . (٤) .

وقوله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٥) .

وقوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » (٦) .

---

(١) الرسالة ص ٤٠ .
(٢) الاية ١٢٩ من سورة البقرة .
(٣) الاية ١٥١ من سورة البقرة .
(٤) الاية ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٥) الاية ٢ من سورة الجمعة .
(٦) الاية ٢٣١ من سورة البقرة .

وقوله تعالى : وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » (٧) .

وقوله تعالى : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا »(١١) .

فهل تكون الحكمة التى قرنها الله بكتابه فى التعليم الا سنة رسول الله ؟

وهل تكون الحكمة التى أخبر الله أنه أنزلها مع كتابه الاسنة رسول الله؟

وهل تكون الحكمة التى تتلى فى بيوت رسول الله — مع كتاب الله — الا سنة رسول الله ؟

أعتقد أن كل فاهم لكتاب الله يسلم أن المراد بالحكمة فى هذه المواطن كلها هى سنة رسول الله ﷺ .

**الثانية :** آيات أمر فيها صراحة بطاعة رسول الله ﷺ . وقرن طاعة رسوله بطاعته . وأوجب الرد الى الله والى رسوله عند التنازع ومن هذه الايات : قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (١٢) .

وقوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»(١٣) .

وقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (١٤) .

**الثالثة :** آيات أمر الله فيها عبارة بامتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه . ومنها :

---

(٧) الاية ١١٣ من سورة النساء .
(١١) الاية ٣٤ من سورة الاحزاب .
(١٢) الاية ٥٩ من سورة النساء .
(١٣) الاية ٦٩ من سورة النساء .
(١٤) الاية ٨٠ من سورة النساء .

قول الله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم » (١٥) .

وقوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (١٦) .

وقوله سبحانه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (١٧) .

وقوله تعالى ... « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (١٨) وبعد هذا العرض لايات القرآن الكريم يجد كل انسان نفسه مذعنا الى الايمان بالله ورسوله منقادا وممتثلا لكل ما جاء به رسول الله ﷺ سواء كان ذلك فى الكتاب الكريم أو فى السنة النبوية المطهرة ما دام يحترم عقله وتفكيره لان القرآن كما أثبتنا وصل الينا بالتواتر . والتواتر يفيد العلم واليقين . وهو حجة الله فى العالمين .

وجاءت السنة النبوية بمثل ما جاء به القرآن الكريم . فقد روى عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ذرونى ما تركتكم . فانما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم . واختلافهم على أنبيائهم . فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه . واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » (١٩) .

وانعقد اجماع المسلمين على وجوب العمل بما فى كتاب الله وما ثبتت صحته من سنة رسول الله ﷺ . فالقرآن والخبر الصحيح حكمها وجوب الطاعة والامتثال (٢٠) .

---

(١٥) الاية ٦٢ من سورة النور .
(١٦) الاية ٦٤ من سورة النور .
(١٧) الاية ٣٦ من سورة الاحزاب .
(١٨) الاية ٧ من سورة الحشر .
(١٩) شرح السنة للنبوى جـ ١ ص ١٩٨ .
(٢٠) الاحكام لابن حزم جـ ١ ص ٨٨ .

## الفـــرع الثـــانى

### وقفـــة مع منكرى السنة :

بعد هذه الالزامات التى تلزم الناس أجمعين ــ فضلا عن المسلمين منهم اتباع كتاب الله تعالى وسنة نبيه متى صحت نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعد هذا نرى رءوسا فى القديم والحديث . تطل بين الفينة والفينة مشككة فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . داعية الى قصر العمل على ما جاء هذا من غير المسلمين لهان الامر . فالعدو ننتظر منه هذا واكثر منه اما أن يجىء ذلك من داخل المجتمع الاسلامى .و من ينتسب الى الاسلام . فذلك هو الخطر الذى يجب أن ننبه عليه .

ولا يعنينا ان كان المنكر لذلك من المسلمين هو النظام أو غيره من المعتزلة أو الرافضة أو الدكتور توفيق صدقى الذى كتب مقالين فى العددين السابع والثانى عشر من مجلة المنار بعنوان « الاسلام هو القرآن وحده » ذكر ذلك المحقق المرحوم الدكتور مصطفى السباعى(١) وانما الذى يعنينا شبهاتهم التى ادعوا فهمها من أصول الشريعة وحسبوا أنها تدل على ما ذهبوا اليه ونورد اقواها فيما يأتى :

**الشبهة الاولى :** فهمهم فى قوله تعـــالى : « ما فرطنـــا فى الكتاب من شىء(٢) ، وقوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكه شىء »(٣) ان هذه الآيات وما ماثلها تدل على أن القرآن الكريم لم يترك شيئا من أمور الدين الا فصله وبينه فلا يحتاج فيه الى المزيد . والا كان خبر الله كاذبا ووه مجال فالعمل بما جاء به القرآن الكريم ولا حاجة الى ما جاء فى السنة النبوية .

---

(١) راجع فى هذا الاحكام للامدى جـ٢ ص٥١ والمعتمد جـ٢ ص٥٦٧ والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص١٢٧ ــ ١٥٢ والاحكام لابن حزم جـ١ ص١٠٢ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الانعام .

(٣) الآية ٨٩ من سورة النحل .

**والجواب عن هذه الشبهة :** اننا لا ننكر أن الله سبحانه بين لعباده كل شيء فى كتابه ولكنا ننكر عليهم فهمهم لهذا البيان . فليس البيان مقصورا على نص الكتاب العزيز على الاحكام . ولكنه يتناول ما ثبت بالسنة النبوية أيضا . فان الكتاب دل على وجوب الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته . يقول الشافعى رضى الله عنه عند كلامه على أنواع البيان : « ومنها ما بينه عن سنة نبيه بلا نص كتاب . وكل شيء منها بيان فى كتاب الله . فكل من قبل عن الله فرائضه فى كتابه . قبل عن رسول الله سنته . بفرض الله طاعة رسوله على خلقه : وأن ينتهوا الى حكمه . ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل لما افترض الله من طاعته »(٤) .

ويقول الشوكانى عند تفسيره لهذه الآيات : « ومعنى كونه تبيانا لكل شيء أن فيه البيان لكثير من الاحكام والاحالة فيما بقى منها على السنة ومرهم باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يأتى به من الاحكام وطاعته كما فى الآيات القرآنية الدالة على ذلك »(٥) .

**الشبهة الثانية :** فهمهم فى قول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فقد فهموا أن الذكر هو القرآن وحده . وأن الله سبحانه قد تكفل بحفظه دون السنة ولو كانت حجة كالقرآن لتكفل بحفظها ث

**والجواب عن هذه الشبهة :** انه لا خلاف بين أهل اللغة والشريعة فى أن كل وحى نزل من عند الله فهو ذكر منزل . والوحى كله محفوظ بحفظ الله له . فقصرهم الذكر على القرآن الكريم انما تخصيص بلا دليل(٦) .

**الشبهة الثالثة :** فهمهم من قوله تعالى : « وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا »(٧) ونحوه مما يوجب اتباع العلم ويحرم اتباع الظن . وفهموا أن السنة من قبيل الظن وهو لا يغنى من الحق شيئا .

---

(٤) الرسالة ص٢٢ .
(٥) فتح القدير جـ٢ ص١٨٧ .
(٦) أورد هذه الشبهة وأجاب عنها ابن حزم فى الاحكام جـ١ ص١٠٩
(٧) الآية ٢٨ من سورة النجم .
(٨) كشف الاسرار جـ٢ ص٣٧٠ .

ويقال لهم : لو كان ما يفيد الظن غير حجة لكان كثيرا من آيات القرآن غيرحجة لكن التالى باطل فبطل المقدم وثبت نقيضه . دليل الصغرى الاجماع على أن القرآن الكريم حجة . ودليل الملازمة أن كثيرا من آيات القرآن الكريم ظنى الدلالة .

والجواب عن هذه الشبهة أن السنة ليست من قبيل الظن لأنها اما متواترة أو آحادية . فالمتواترة تفيد القطع والعلم اليقينى(٩) . وهى كالقرآن فى حجيتها لا فرق . ولا ينكر هذا الا من أنكر الرسالة كالبراهمة الذين ذهبوا الى أن الخبر لا يكون حجة أصلا(١٠) .

وأما الاخبار الآحادية فروى عن جمع أنها تفيد العلم(١١) فتكون حجة ولو ذهبنا الى أنها تفيد الظن فدليل العمل بها قطعى وهو ما ورد فى كتاب الله من آيات توجب امتثال مر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه . ثم ان العمل بالظنا مقبول فى الفروع . وهل خفى عليهم أن الدليل قد يكون قطعيا فى دلالته وثبوته وهذا هو ما نطلق عليه أنه قطعى . وقد يكون ظنيا فى أحدهما أو فى كليهما وهذا هو الظنى . فهل يبطلون العمل بما هو فى كتاب الله مما كان ظنى الدلالة . أعتقد أنهم لا يقولون بهذا والا كانوا خالعين لربقة الاسلام فالحق أن الخبر متى ثبتت صحته وجب العمل به ومكانتها .

**الشبهة الرابعة :** أخبار يدعون أنها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى نوعان : **نوع يمثله** ما رووه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث(١٤) . قال : « اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث(١٤) .

وفى سنده أشعث بن براز وهو كذاب ساقط لا يؤخذ حديث »(١٥) والمتمسكون بمثل هذا معترفون على أنفسهم بالكذب . وقد قال رسول الله

---

(٩) كشف الاسرار جـ٢ ص٣٦٢ .
(١٠) كشف الاسرار جـ٢ ص٣٦٢ .
(١١) الاحكام لابن حزم جـ١ ص١١٢ .
(١٢) الاحكام لان حزم جـ١ ص١٩٧ .
(١٣) المرجع السابق .
(١٤) الاحكام لابن حزم جـ١ ص٩٩ك .
(١٥) المرجع السابق .

صلى الله عليه وسلم « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكافرين »(١٦) وهذه الشبهة قد ردت على نفسهما بما تحمله من علامات الكذب وقد بينا ذلك . بعد هذه الجولة السريعة التى أبطلنا فيها شبه من أنكر حجية السنة ممن ينتسبون الى الاسلام نقف وقفة قصيرة مع غير المسلمين الذين كتمنون ابطال الشريعة الاسلامية كلها . وما هم ببالغى ذلك فالله متم نوره ولو كره الكافرون .

**وقفة مع المتطرفين من اليهود والنصارى :**

وفى بدء هذه الوقفة نعود الى الوراء لننبه الى أن أجداد هؤلاء فعلوا الكثير ليحققوا أمنيتهم الغالية . بالمكر والخديعة أحيانا . وبالفتن والدس أحيانا أخرى . وبالدخول كذبا فى الاسلام . بل وبالحرب والقتال فى كثير من المرات ولن أناقشهم فى هذه المواقف . فلها رجالها من أهل السير والتاريخ . ولكنى أقف لمناقشتهم فى أمر عجيب . قصدوا منه الباس الحق بالباطل . احتلال العقل البشرى . ومنع الناس من النظر فيما بين أيديهم من دلائل الحق . وآيات الهدى . ومعالم الطريق المستقيم .

أما اليهود فقد نقلوا عن موسى عليه السلام فى توراتهم قوله : « هذه الشريعة مؤبدة عليكم ولازمة لكم مادامت السموات والارض »(٧) وأيضا قول التوراة : « ليحفظوا السبت فى أجيالهم عهد أبديا هو بينى وبين بنى اسرائيل علامة الى الابد »(١٨) .

وقد أوردوا فى توراتهم هذه العبارات وما ماثلها ليصرفوا الناس عن اتباع رسول يأتى بعد موسى عليه السلام وينصلوا من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يبقى لهم سلطانهم على أتباعهم . وتبقى لهم مكاسبهم المادية .

وأما النصارى فقد أوردوا فى أناجيلهم قول عيسى عليه السلام :

---

(١٦) شرح السنة ص٢٦٦ ج١ وقد أخرجه مسلم عن المغيرة بن شعبة .
(١٧) مناهل العرفان ج٢ ص٩٧ والتقرير والتحبير ج٣ ص٤٦ .
(١٨) سفر الخروج الاصحاح ٣١ الفقرات من ١٢ — ١٦ .

« السماء والارض تزولان ولكن لا يزول كلامى »(١٩) وهم بهـذا يلتقون مع اليهود فى ابعاد أنفسهم عن نبى الاسلام . وطمس معـالم الحق أمام أتباعهم حتى لا ينظروا فى هذا الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

وأود أن أقول لهؤلاء وأولئك أن التوراة الآن أصابها الكثير من التحريف والتغيير على ما هو ثابت عند المحققين من المؤرخين وغيرهم . واستمعوا معى الى نص واحد من نصوص توارثهم لتحكموا ويحكم العـالم معكم على مدى صحة هذه التوراة . تقول التوراة عن لوط عليه السلام وابنتيه : « فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شـاخ وليس له فى الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض ، هلمى نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهما الخمر فى تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغـد أن البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البـارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهمـا خمرا فى تلك الليلة أيضا وقامت الصغـيرة واضطجعت معـه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما » .

فهل يترك الله رسولا من رسله ليشرب الخمر بل وليزنى ؟ وفيمن ؟ فى ابنتيه . وتحمل كل منهما . ان هذا لا يمكن ن يكون من نبى معصوم . وهذا يقطع بالتحريف فى هذه التوراة التى يتداولونها . وغير هذا كثير ولو سلمنا بصحة التوراة التى بين أيدى اليهود الآن أقول لهم : البشارة بنبوة محمـد صلى الله عليه وسلم قد وردت فى التوراة ، وكل ما ورد فى التـوراة يجب الايمان به والامتثال له ، فنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يجب الايمان بهـا والامتثال لما جاء وفى رسالته . ولاشك أنهم يسلمون الكبرى ، أما الصغرى فدليلها كثير مما ورد فى التوراة ، ومن هذا على سبيل المثال ما جاء فى التوراة : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوحيه به ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى انا أطالبه(٢٠) هـ » .

---

(١٩) انجيل متى الاصحاح ٢٤ الفـ رة ٣٥ وانجيل مرقس الاصحاح ١٣ الفقرة ٣١ .

(٢١) سفر التثنية الاصحاح ١٥ فقرة ١٩ ، ٢٠ .

وظاهر من هذا النص أن التورا قدة بشرت بنبى يبعث من بنى اسماعيل ، اخوة بنى اسرائيل ، ووصفت هذا الرسول الذى بشرت به بأنه رسول مثل موسى عليه السلام ، له كتاب وله شريعة ، وأن الله سيجعل كلامه تعالى فى فمه ، وهذا صريح فى أن النبى المبشر به أمى لا يكتب ، ثم طلبت التوراة الانقياد لهذا النبى والاستماع لدعوته ، والايمان به فان الذى لا يسمع كلامه يحاسبه الله .

وليس هذا اعترافا بصحة التوراة التى بين أيديهم اليوم ، ولكنه بالزام اليهود .

وأما الاناجيل ففيهـــا الكثـــير من الاختلاف الذى يثبت ما أصابها من التحريف والتغيير ، وهذا صحيح ثابت عن المحققين من المؤرخين وغيرهم ، ويشهد بصدق هذا ما ورد من تناقض جلى بين نصوص الاناجيل بعضها مع بعض ، وهذا أمر قد تظاهرت عليه الادلة الصحيحة .

ولو سلمنا بصحة الاناجيل التى بين أيدى النصارى اليوم ، أقول لهم :

البشارة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام قد وردت فى الاناجيل ، وكل ما ورد فى الاناجيل يجب الايمان به والامتثال له ، فنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يجب الايمان بها والامتثال لما جاء فيها ، ولاشك أنهم يسلمون الكبرى ؛ أما الصغرى فدليلها أن الاناجيل قد بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن هذا على سبيل المثال ما ورد فى انجيل يوحنا(٢١) على لســـان عيسى عليـــه السلام « وأما المعزى الروح القدس الذى سأسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » وبعد هذا بثلاثة أسطر يقول : « وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون به ، لا أتكلم كثيرا ، لأن رئيس هذا العالم يأتى » ثم يقول : « فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » .

علما أنه لو كان شىء من التوراة والاناجيل متواترا أيام الرسول صلى الله عليه وسلم لخاصموه فى عمـــوم رسالته ، ولو وقع هذا لاشتهر ، ولو اشتهر لنقل لتوفر الدواعى الى نقله ، لكنه لم ينقل ، فلم يشتهر ، فلم يقع ، فليس شىء من هذا متواترا .

---

(٢١) انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ الفقـــرة ٢٦ ـــ ٢٩ والاصحـــاح ١٥ الفقرة ٢٦ ، ٢٧ .

وأقول لهؤلاء وأولئك ولمن يجيء بعـــدهم ومن هو على منوالهم : ان الشريعة الاسلامية قد وفر الله لها من دواعى الحفظ والمحافظة ما لم تحظ به شريعة . أما كتبهم المقدسة فالتوراة قد اعترف رهبانهم أن عزيزا الهمها فكتبها ودفعها الى تلميذه ليقراها عليهم ، فمدار التوراة اذا على(٢٢) هذا التلميذ . وفى متن التوراة الكثير مما يقطع بعدم تواتراه بل يقطع بتناقضها ، ومن هذا على سبيل المثال أن نسخة التوراة التى مع السامريين تزيد فى عمر الدنيا نحو الف سنة على نسخة العنانيين ، وجاء فى بعض نسخ التوراة المدعاة أن نوحا ادرك جميع ابائه الى آدم وانه عاش فى عهد آدم نحو مائتى سنة ، وجاء فى نسخ أخرى ما يفيد أن نوحا ادرك من عمر ابراهيم ثمانى وخمسين ســـنة ، وهذا باطل تاريخيا .

وأما الاناجيل(٢٤) فهى موقوفة على مكاتبها ، وفق اعتراف كل كاتب فى اول انجيله فلا مانع أن يزيد فيها أو ينقص منها لحاجة الناس ـــ ان أحسنا الظن به ـــ أو تبعا لهواه وما يعود عليه من مكاسب دنيوية . ولا يخفى أن مرقسا كان يهوديا لاويا ، وأن لوقا كان تلميذ لبولس اليهودى المتعصب الذى اظهر ايمانه بالمسيح ليخرب فى هذا الدين كما يحب ويهوى .

فهل وجد فيما صح من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم شيء من مثل هذا ؟ ! سواء فى المتن أو فى السند ! ؟

ان كل باحث منصف لابد وأن يهديه بحثه الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء فى شريعته ، تلك الشريعة التى حفظها الله تعالى من كل تحريف وتبديل الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

---

(٢٢) التقرير والتحبير ٤٧/٢ ومسلم الثبوت ٥٩/٢ .
(٢٣) أخبار الايام الثانى الاصحاح ٣٦ ـــ الفقرات ١٥ ـــ ٢٣ .
(٢٤) قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ٣٩٩ وما بعداه .

## الفـــرع الثـــالث

### المستشرقون والاســـلام :

المستشرقون أو من نسميهم بهذا الاسم اليوم منهم من هم أحفاد لأولئك المتطرفين من اليهود والنصارى وهم يعملون ضمن خطط رسم لهم من سادتهم وهيئات المخابرات فى بلادهم . وأهدافهم يحددها الاستاذ محمد قطب فيقول : هى محاولة صرف المسلمين عن الاسلام . محاولة التشكيك فى دينهم . محاولة التشكيك فى كتابهم على رسولهم صلى الله عليه وسلم . فى صدق الوحى . فى عظمة رجالاتهم . فى أمجادهم التى لا مثيل لها فى تاريخ أمة من الامم . وأهم من ذلك تشكيكهم فى امكان قيام بعث اسلامى . تخذيلهم عن الداخل عن محاولة القيام ببعث اسلامى(١) يحاولون ذلك لأنهم يعلمون ما للاســـلام من القـــوة والتأثير لما يرثه للفطرة وعدم تناقضه معها . والمسلمون اذا فهموا دينهم كما يجب أن يفهم فسيكونون القوة الغالبة والكلمة المسموعة . وعندها ينزوى هؤلاء فى زاوية من زوايا النسيان . ولهذا فهم يتكتلون ويتعاونون لتحقيـــق هذه الاهداف . وتحطيم هذا الاسلام ان استطاعوا وهم فى تحقيقهم لأهدافهم أذكى من سبقهم فقد اتخذوا الكتـــابة عن الاســـلام ستارا يحتمون به . ويدسون من خلفه السموم لمثقفينا . وقد التقى بالكثير منهم المرحوم الدكتور مصطفى السباعى(٢) وصور لنا نفسياتهم ونواياهم السيئة . تتمثل فيمـــا يحكيه البروفسور أندرسون للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى . من أنه أسقط أحد المتخرجين من الازهر الذين ذهبوا للحصـــول على الدكتوراة فى التشريع الاسلامى من جامعة لندن لسبب واحد وهو أنه قدم رســـالته عن حقوق المرأة فى الاسلام . وقد برهن فيهـــا على أن الاســـلام أعطى المراة حقوقها الكاملة .

يقول الدكتـــور : فعجبت من ذلك وســـألت هذا المستشرق : وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراة لهذا السبب . وأنتم تدعون حرية الفكر فى جامعاتكم . قال : لأنه كان يقول : الاسلام يمنح المرأة كذا والاســـلام قرر

---

(١) المستشرقون والاسلام مقال نشره بمجلة المجتمع العدد ٣٤٠ .
(٢) راجع كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى فى أماكن متفرقة منه

للمـــرأة كذا .فهـــل هو ناطق رسمي باســـم الاســـلام هل هو أبو حنيفة أو الشافعي . حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الاسلام . ان آراءه فى حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الاسلام الاقدمون . فهو رجل مغـــرور بنفسه حين ادعى أنه يفهم أكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعى(٣) .

وهذه الروح العدائية للمسلمين ومحاولة طمس معالم الاسلام تجدها فى كثير من كتب المستشرقين أمثـــال جولد زيهر ومرجليوث وشاخت وغيرهم . وسار على هذا المنوال كثير محمد كتب بعدهم . يقدمون الينـــا الافكار التى تخدم أهدافهم تارة فى ثوب من حرير مثال ذلك ما أورده جولدزيهر على لسان الزهرى من قوله : « ان هؤلاء الامراء أكرهونا على كتابة أحاديث(٤) يريد أن يصل من هذا الى اتهام الزهرى بوضع الحديث . والزهرى لم يقل هذا بهذه الكيفية . وانما قال : ان هؤلاء الامراء أكرهونا على كتابة الاحاديث(٥) وفرق بين التعبيرين . فما نقله جولدزيهر فيه اتهام للزهرى وطعن فى السنة وما يرويه العلما المحققون معناه : أن هؤلاء الامراء دفعوهم الى كتـــابة السنة وتدوينها والفرق بين التعبيرين فى اللفظ لا يدركه الا باحث متخصص وقد يخفى على الكثير الذين يتخذون هؤلاء المستشرقين قدوة وما كتبوه نمطا فريدا للبحث والتحقيق والله يسهد أنهم من هذا براء .

وتارة تفوح من أفكارهم وكتاباتهم رائحة الحقد ويظهر عفنها لكل من اطلع عليها ومثال ذلك ما قاله مرجليوث المستشرق الانجليزى : ان محمد صلى الله عليه وسلم مجهول النسب(٦) وهذه أكذوبة لا تخفى على أحد فمحمد الذى نشأ فى بيئته تعتز بالانساب وتحفظها وتحافظ . عليها لا تسكت على الطعن فى نسب محمد الذى سفه أحلامهم اذا وجدت اليه سبيلا . ولكن ذلك لم ينقل عن أحد حتى جاء مرجليوث يصحح مسار الانساب . ونسب الرسول محفوظ معروف ومن الاكاذيب ما توهمه اسحق رابين اليهودى يقول : ان القـــرآن قد

---

(٣) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص١٣ .
(٤) المرجع السابق ص١٥ .
(٥) المرجع السابق وفى شرح السنة جـ١ ص٢٩٤ ما يفسر هذه العبارة قال الزهرى : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه الامراء فرأينا الا يمنعه أحد من المسلمين . ا هـ
(٦) مجلة المجتمع العدد ٣٤١ من مقال للاستاذ محمد قطب .

احتوى أخطاء لغوية ونحوية وأن المسلمين على تعاقب الاجيال صححوا بعض تلك الاخطاء وبقى بعضها لم يصحح(٧) .

وهذه الاكذوبة كسابقتها لا تنطلى على أحد فالقرآن الذى تحدى العرب وهم أهل الفصاحة والبيان تكون فيه أخطاء . ولا يطعنه بها من نزل فيهم . وتصحح هذه الاخطاء بعد أن استعجم اللسان العربى أو كاد . ولم يبق الا أن يدعى اسحق رابين أنه يقوم بتصحيح ما تبقى . هذه افتراءات واضحة وهى فى مجموعها تكشف عن الحقد الدفين لدى هؤلاء القوم . وبدلا من أن ينظر اسحق رابين وغيره فى تصحيح أخطاء القرآن — وهو منها براء لأنه كلام رب العـــالمين — فلينظـــروا فى توراتهم . وأناجيلهم التى حرفوها وزيفوها ويعملوا على تنقيتها لا من الاخطاء اللغوية ولكن من الاضطراب الموجود فيها ومن الاكاذيب التى حشيت بها وقد أوردت مثالا لهذا فيما مضى . وأذكر الآن مثالا آخر يبين حقد أسلافهم على نبى الاسلام ونسبه . يقولون فى توارثهم عن اسماعيل عليـــه الســـلام : « وأنه سيكون انسانا وحشيا »(٨) مع أن التوراة فى نسختها العبرية لم تقل هذا وانما تقـــول : « وهو بهى فرء آدم » ومعناها : أنه سيكون انسانا قويا(٩) .

ولكنهم لم يجدوا أسوأ من كلمة وحش ليصفوا بها نبى الله اسماعيل جد محمد صلى الله عليه وسلم . وانى اذ أبين هذا فانما لأنبه الامة الاسلامية كلها الى ما يكتبه هؤلاء المستشرقون حتى يكونوا منه على حذر فليس لهؤلاء هم الا الطعن فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يصرفوا المسلمين عنهما . وعندها ينقضون عليهم ويغتالوهم اغتيال الذئب للحمـــل الرضيع . فحذار ثم حذار .

---

(٧) المرجع السابق .
(٨) سفر التكوين الاصحاح ١٦ الفقرة ١٢ .
(٩) قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص٩٤ .

## المطلب الثـــالث
## موقف السنة من القــرآن الكــريم

بعد أن أثبتنا للجميع أن السنة النبوية حجة يجب العمل بها مع كتـــاب الله تعالى نقول : انه لا خلاف بين المسلمين فى أن السنة النبوية تأتى مبينة للقرآن الكريم ولا تكون السنة الصحيحة مخالفة للقرآن الا على وجه النسخ عند من يقول به(١٠) . ولكن هل تشرع السنة حكمـــا مستقلا ؟ ونحن نذكر أنواع بيان السنة للقرآن ثم نجيب على السؤال الذى طرحناه .

**بيـــان السنة للقـــرآن :**

**أولا :** بيان التخصيص بأن يرد فى القرآن الكريم لفظ عام يتناول أفرادا كثيرة وتأتى السنة مبينـــة المراد من هذا اللفظ بقصره على بعض أفراده . ومثال ذلك قوله تعالى : « ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ... »(١١) .

فلفظ البيع فى الآية عام . لأنه مفرد معرف بأل الجنسية . فيعم كل بيع . وهذا يفيد أن كل بيع حلال . وقد جاءت السنة فخصصت هذا العموم بتحريمها بعض أنواع البيوع حتى وان تراضى بها المتبايعان . وذلك كبيع الذهب بالذهب الا مثلا بمثل فيما يرويه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ... »(١٢) .

ومعنى تشفوا : لا تفضلوا .

وغير ذلك من البيوع التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم من هذه التخصصات أن الله أراد بالبيع ما أحل دون ما حرم . وغير هذا كثـــير .

**ثانيا :** بيان التقييد . بأن يرد لفظ فى القرآن الكريم مطلقـــا ، ثم تأتى السنة بتقييده . فقد وردت آية الظهار بالامر لمن عاد فى ظهاره أن يعتق رقبة ، وكان لفظ الرقبة فيها مطلقا غير مقيد ، حيث يقول سبحانه « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا »(١٣) .

---

(١٠) شرح الاسنوى جـ٢ ص٢١٥ .
(١١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .
(١٢) جزء من حديث متفق عليه سبل السلام جـ٣ ص٣٧ .
(١٣) الآية ٣ من سورة المجادلة .

وقد ورد فى السنة بيان المراد من لفظ رقبة وهو أن تكون مؤمنة وذلك فيما ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه السائل يستفتيه فى عتق رقبة كانت عليه . سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية : أين الله ؟ قالت : فى السماء . فقال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : فأعتقها فانها مؤمنة(١٤) .

فتعليله صلى الله عليه وسلم الامر بعتقها لكونها مؤمنة دليل على تقييد الرقبة التى تعتق فى الكفارة بالايمان(١٥) .

**ثالثا** : بيان معنى اللفظ وذلك كقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

فان لفظ السارق والسارقة عام خص بما ورد فى السنة من قوله صلى الله عليه وسلم : فيما روته عنه عائشة رضى لله عنها : « لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا » متفق عليه(٤) . وكذا جاءت السنة فبينت المراد من اليد والقطع وأن المرا دابانة اليد من الكوع .

وأما استقلالها بتشريع حكم فقد انقسم فيه العلماء الى فريقين :

أ — فيرى جمهور العلماء أن السنة قد أتت بأحكام جديدة لم يرد فيها نص من القرآن الكريم ويعبر الشافعى عن هذا فيقول :

وقد سن رسول الله مع كتاب الله . وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب . وكل ما سن فقد ألزمنا الله اتباعه . وجعل فى اتباعه طاعته(١٦) . ثم بين أن السنة تأتى مؤكدة ومبينة كما تأتى بحكم مستقل وأورد الخلاف فى الثالث فقال : « والوجه الثالث ما سن رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب . ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها أصل فى الكتاب(١٧) .

---

(١٣) الآية ٣ من سورة المجادلة .
(١٤) سبل السلام ج٢ ص١٨٧ .
(١٥) هذا وقد عارض الحنفية فى هذا التقييد لا لكونهم يمنعون تقييد الكتاب بالسنة ولكن لأنهم يعتبرون هذا نسخا فلا يجيزونه الا بما هو متواتر أو مشهور . ٤ — سبل السلام ج٤ ص١٨ .
(١٦) الرسالة ص٥١ .
(١٧) الرسالة ص٥٢ .

وهو بهذا يشير الى الراى الثانى وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسن سنة الا ولها أصل فى الكتاب .

ويعبر الشاطبى بلسان هؤلاء فيقول : السنة راجعة فى معناها الى الكتاب فهى تفصيل مجملة وبيان مشكلة وبسط مختصرة . وذلك لأنها له . وهو الذى د لعليه قوله تعالى : وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »(١٨) .

الى أن قال : فالسنة اذن فى محصول الامر بيان لما فيه وذلك معنى كونها راجعة اليه وأيضا فاستقراء التام دل على ذلك(١٩) .

ونحن نرجع الى واقع التشريع فنجد أن السنة جاءت بأحكام مستقلة لم ينص عليها القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك :

قوله سبحانه وتعالى : « أقيمو الصلاة » ، وقوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وجاء بعد هذا الامر بالوتر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصرحها فى الدلالة على وجوبه — عند من يقول به — ما رواه عبد الله بن بريدة عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا » أخرجه أبو داود وصححه الحاكم(٢٠) وسواء أقلنا انه واجب أو سنة فهو زائد على نص الكتاب .

وأيضا قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » .

والمراد بالزانى والزانية هنا غير المحصنين بدليل ما نسخت تلاوته من قوله : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فأرجموهما » أو بالسنة كما يأتى :

واما زيادة التعذيب فى حد الزانى المحصن فلم يتعرض لها الكتاب العزيز وقد جاءت بها استقلالا : وذلك فيما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى خذوا عنى قد جعل

---

(١٨) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(١٩) الموافقات للشاطبى جـ٤ ص١٢ — ١٣ والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص٣٨٤ .

(٢٠) سبل السلام جـ٢ ص١١ .

الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة . والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » رواه مسلم(٢١) .

وقد نسخ الجلد بالنسبة للثيب
وهل نجد فى القرآن الكريم تحريم نكاح المرأة على عمتها أ وعلى خالتها ؟
وهل نجد كفارة الوقاع فى رمضان ؟
وهل نجد تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير ؟
وهل نجد القضاء بالشاهد واليمين ـ
الى غير هذا وذاك مما جاءت به السنة .

ولهذا فلن نتعرض لحجاج الفريقين مادام واقع التشريع يشهد بأن من الاحكام ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يرد فيـــه نص من القرآن الكريم بخصوصه وهذا ما لا ينكره حد . ولكن الجمهور يعتبرون ذلك تشريعا مستقلا وغيرهم يرى انه فى أصله راجع الى الكتاب الكريم وهذا مما جعل المرحوم الدكتور مصطفى السباعى يجعل الخلاف لفظيا .

وأيا ما كان فالواجب علينا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى ثبتت عنه كما يجب علينا اتباع كتاب الله تعالى فهما أصل هذه الشريعة . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالعلم ثلاثة : آية محكمة . وسنة قائمة . وفريضة عادلة وما كان سوى ذلك فهو فضل »(٢٢) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتى » ويقول صلى الله عليه وسلم : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكة يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى ما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه »(٢٣) أو كما قال .

وفقنا الله للعمل بكتابه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

**د/علـــى أحمـــد مرعى**
جامعة الازهر ـــ كلية الشريعة والقانون بالقاهرة

---

(٢١) سبل السلام جـ٤ ص٤ .
(٢٢) شرح السنة للنبوى جـ١ ص٢٩١ .
(٢٣) شرح السنة للنبوى جـ١ ص٢٠٠/٢٠١ .